التسلسل : ٥ – ٣٠

اسم المادة : تاريخ الدولة الاموية

اسم المحاضرة: دور الإمام الحسن (ع) في عهد معاوية

بعد الصُلح مع معاوية مكث الامام الحسن بن علي عليهما السلام أياماً في الكوفة ثم غادرها الى المدينة المنورة فخرج اهل الكوفة بجميع طبقاتهم لتوديعه وهم بين باكٍ وآسفٍ واستقبله اهل المدينة بحفاوية بالغة واستقر بها هو واخوته واهل بيته فاستقام فيها عشر سنين ملأ ربوعها بعطفه ورقيق حنانه وحلمه.

كان للصلح دوره الكبير في كشف حقيقة معاوية ونواياه الخفية، فبعد ان استلم زمام الأمور استسلم لزهو الانتصار فكشف عن سوء سريرته ومكنونات اهوائه ولم يلتفت الى الآثار المترتبة على هذا الكشف، فكان الامام الحسن المجتبى عليه السلام له بالمرصاد، فقد صدع الامام في اكثر من مناسبة وموقف ولم يكتفِ بإظهار وإثبات نبوّته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقط، وإنما كان يؤكد من خلالها ان حق الامامة والخلافة له وحده ولا يمكن ان يصل معاوية واضرابه لأن معاوية يفتقد المواصفات المؤهلة للخلافة بل يتصف بما ينافيها.

ومهما يكن من أمر، فالمهم ان الحوادث جاءت تفسر خطة الامام الحسن (ع) ونجلوها، وكان ما يرمي اليه ان يرفع اللثام عن هؤلاء الطغاة فيحول بينهم وبين ما يبيتون لرسالة جده من الكيد، وقد تم له كل ما أراد، وبهذا استتب لصنوه سيد الشهداء أن يثور ثورته المباركة التي اوضح الله بها الكتاب، وكانا عليهما السلام وجهين لرسالة واحدة كل وجه منهما في موضعه منها وفي زمانه من مراحلها.

لقد تمثلت مرجعية الامام الحسن (ع) في المدينة المنورة وعلى عدة أصعدة، العلمية منها والدينية والاجتماعية والسياسية وتتناول كل منها بما يفي الغرض.

أما مرجعيته العلمية والدينية فتمثلت بتربية كوكبة من طلاب المعرفة وتصديه للإنحرافات الدينية التي كانت تؤدي الى مسخ الشريعة، كما تصدى لمؤامرة مسخ السُنة النبوية الشريفة التي كان يخطط لها معاوية من خلال تنشيط وضع الحديث ومنع تدوين الحديث النبوي.

وأنشأ الامام المجتبى (ع) مدرسته الكبرى في المدينة وراح يعمل مُجداً في نشر الثقافة الاسلامية واتخذ من مسجد جده صلى الله عليه وآله وسلم مقراً لها وقد انتمى اليها كبار العلماء وعظماء المحدثين والرواة ومن اشهرهم:- (ابنه الحسن المثنى، المسيب بن نجبة، سويد بن غفلة، العلا بن عبد الرحمن، الشعبي، الأصبغ بن نباتة، جابر بن مخلد، عيسى بن مأمون بن زرارة، أبو مريم قيس الثقفي وإسحاق بن يسار)، وبهم كانت المدينة من أخصب البلاد الاسلامية علماً وأدباً وثقافةً، وأكد على اتساع أُفق النظر والتعامل الموضوعي مع الأفكار والاحداث، وكان يؤكد إن التشيع مسؤولية وممارسة سلوكية وهي مرتبة شريفة وليس شعاراً يُرفع وادعاءً فارغاً كما جاء في قوله لأحد أصحابه: ((إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها)).

وكان يدعو الناس الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال والتادب بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمن سمو اخلاقه ومحاسنه انه كان يصنع المعروف والاحسان حتى مع اعدائه ومناوئيه ويجيب على الأسئلة الموجهة اليه من مختلف الافراد وخاصة الذي ينتسبون الى مدارس فكرية اخرى مثل الحسن البصري الذي اجابه عليه السلام في مختلف حقول المعرفة الاسلامية في العقيدة والشريعة.

وأما في الجانب الاجتماعي: فقد تمثل في عطف الامام على الفقراء وإحسانه وبذله المعروف واستجارة المستجيرين به للتخلص من ظلم الأمويين وأذاهم، فلقد أفاض الامام (ع) الخير والبر على الفقراء والبائسين، وانفق جميع ما عنده عليهم وقد ملأ قلوبهم سروراً بإحسانه ومعروفه، وكان كهفاً منيعاً لمن يلجأ اليه وملاذاً حصيناً لمن يلوذ به، قد كرّس أوقاته في قضاء حوائج الناس ورفع الضيم والظلم عنهم، وطالما استجار بهم وجوه الشيعة من ظلم ولاة بني أمية وأجارهم وقضى حاجاتهم.

أما على الصعيد السياسي: فقد برز دور الامام (ع) كمعارض للدولة الأموية ومقارع لها فأصبح كالشوكة التي تُنَغِص على معاوية ملكه وتكدر صفوه، ونجد في أدعية الامام (ع) ولقاءاته بالحاكمين وبطانتهم ورسائله وخطبه نشاطاً سياسياً واضحاً تمثل في:-

أ- مراقبته للأحداث ومتابعتها ومراقبة سلوك الحاكمين وعمالهم وأمرهم بالمعروف وردعهم عن المنكر.

ب- النشاط السياسي المنظم، والذي تمثل في استقباله لوفود المعارضة، وتوجيههم ودعوتهم للصبر وأخذ الحزم وانتظار أوامره التي ستصدر في الفرصة المناسبة، كما تمثل في تأكيده المستمر على الدور القيادي لأهل البيت عليهم السلام واستحقاقه للخلافة والإمامة.

ج- عدم تعاطيه مع أركان النظام الحاكم رغم محاولاتهم لكسب عطفه او تغطية نشاطاته، وتمثل هذا الجانب في رفضه مصاهرة الأمويين في قصة زواج يزيد من زينب بنت عبد الله بن جعفر وفضحه لواقعهم المنحرف وعدم استحقاق معاوية للخلافة.

د- مناظراته لمعاوية وبطانته في مكة والمدينة ودمشق التي زخرت بها كتب التاريخ والتراث، واستطاع الامام (ع) من خلالها فضح رأس النظام الأموي وأتباعه أمام الملأ، ففي أول مناظرة جرت بينهما افتخر معاوية عند اجتماع الناس حوله في عاصمة نظامه اجاب الامام الحسن (ع) قائلاً: ((هيهات، للشر ما علوت يا ابن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان: بين مُطيع ومُكره، فالطائع لك عاصٍ لله والمُكره معذور بكتاب الله، وحاشا لله أن أقول أنا خير منك لأنك لا خير فيك، فإن الله برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل)).

ولقد أُعطت هذه المناظرات التي خاطب الامام الحسن (ع) فيها معاوية باسمه ولم يخاطب بأمرة المؤمنين ولا خلافة المسلمين أبداً اعطت زخماً حديدياً وفاعلاً للمعارضة، حيث جرأت الكثير من الصحابة لمخاطبة معاوية وبكل جراءة كما فعل: (عبد الله بن عباس وسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن الزبير وجارية بن قدامة السعدي وغيرهم)، كما كشف للأمة عن الواقع المرير الذي اكتنف الحكم الاسلامي بتسلط هذه النماذج المنحرفة في أُصولها والمنفعلة برواسبها الجاهلية التي لا يمثل الاسلام عندها إلا الوسيلة الوحيدة للتسلط على رقاب الناس.

وهكذا ينطلق الامام (ع) في خطاه الرسالية التي هي امتداد لخطى جده الرسول الأعظم محمد (ص) وعليه تقع مسؤولية حفظ المبادئ الأصيلة التي جاءت من أجلها الرسالة المحمدية.

المصدر: باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن (ع).